

الراوي غير الموثوق في الشعر الجاهلي دائرة جلجل أنموذجا

م. د. نصير خلف عباس القرشي

كلية التربية للعلوم الصرفة - جامعة واسط

الكلمات المفتاحية: امرؤ القيس، الراوي، الرواية، دائرة جلجل.

الملخص:

يشكل الراوي أساسا يقوم عليه الحكي في العمل السردى أو -في الأقل- جزء كبير منه، ويشكل قناعا يختفي وراءه الأديب أيضا، أو يجعل منه مسؤولا يحمله كل ما يكتب، ويضع على عاتقه دقة الأخبار والأحداث التي سجلها في إطار زمني ومكاني، أو قد يكون شخصية متخيلة يتمصها الأديب ليقول ما يريد تحت عنوان مستعار، أو اسم مجهول؛ لذلك قد يضع الأديب نفسه الموضع الذي يبرأ من أي شك أو ريب في النص المحكي، ويمثل وجود الراوي في إطار النص الأدبي توجهها يحكم طبيعة النص وكيفيته التي يكون عليها. وبناءً على الأساس المعرفي الذي ينظم الحقل المفاهيمي في نظرية الأدب فإن عنصر الراوي يندرج في منظومة الأدب السردى مع مجموعة من العناصر التي تسهم في بنية السرد، ولكن ذلك لا يمنع أن نتبعه في الجنس الشعري، بوصفه عنصرا مؤثرا في بناء القصيدة أو توجهها، ولا سيما إذا عثرنا على ملامحه التي لا تبدو مختلفة عن حاضنته التي ترعرع فيها. يود الباحث في هذا المقام أن يقف على حقيقة الرواية التي سطرها الشاعر الجاهلي امرؤ القيس في مجموعة من الأبيات في معلقته تحت عنوان (دائرة جلجل) وما مدى صحتها أو دقتها، مستعينا بالمعلقة نفسها وما قد يرافقها من مرويات في الإطار ذاته على ما يراه؛ لذلك كانت المداد الأول والأوفر في اثبات قناعاته، وترسيخ فكرة أن الراوي يمكن أن يخطأ أو أن لا يكون دقيقا في نقله، أو وصف الأشياء والمواقف.

المقدمة

يذهب الباحث إلى أن الشعراء ولا سيما الرعيل الأول حاولوا جاهدين أن يبقوا محافظين -إلا ما ندر- على بنية القصيدة الأولى، وما تشتمل عليه من موضوعات تحتم عليهم أن ينظموها على وفق نمط فني وموضوعي محددين، وهو الأمر الذي دفعهم إلى الاتكاء على

مخيلتهم كثيرا ليصفوا الواقع بطريقة تقتضي منهم الزيادة أو التحريف أو المبالغة أو مجانية الواقع، ويضاف على ذلك سبب آخر وهو أن طول القصيدة يدفع بالشاعر الى أن يضع فيه ما يبعد الملل ويزرع المتعة ولاسيما فيما يكون قريبا من النفس الإنسانية، ولا يوجد شيء أحب الى الانسان من شريكه في الحياة أو ما يشكل رصيده وذخيرته في مفاخراته أمام الآخرين، ولا ينسى بعض محيطه الذي به يعيش، وأدواته التي بها يحارب الحياة كي يستمر. يقوم منهج هذه الدراسة على التحليل والاستدلال؛ للوقوف على الزيادة والتحريف، ومن ثم ابراز الدوافع الضمنية في كل مقام ليتسنى للقارئ معرفة طبيعة الحدث وما رافقه من بناء سردي دخيل عليه، والاهم بالموضوع أن الباحث أثر أدلة الحادثة في النص الشعري الذي وصف دارة جلجل أو تحدث عن تفاصيلها مثلما ادعى الشراح ذلك، ومن ثم استدل بغيره من الشعر أو سواه مما يُعتقد أنه يدعم رأي الباحث بكثير أو قليل.

لقد تمخضت عن هذه الدراسة جملة من القناعات، منها: أن ليس كل ما يقوله الشعراء حقيقة محضة، لا تقبل الشك، وتأخذ على أنها من المسلمات، ولا سيما اذا صدرت من شاعر كبير مثل امرئ القيس، وقد تكون بعض الاحداث التي درجت في الشعر عموما هي صناعة اسطورية، أو لا تعدو إلا أن تكون نتاجا تخيليا، ولا تمت الى الواقع بصلة سوى أنها حاضرة في نص ابداعي، ولا يستطيع أحد أن ينكر فعل الرواة والوضاعين في الشعر ما كان لهم من دور تخريبي شوه الجسد الحقيقي للشعر العربي، وأضاف عليه ما ليس فيه من أجل الكسب والشهرة، هذا فضلا عن الشاعر نفسه الذي ظل تواقا الى التهويل والمبالغة من أجل إعلاء منزلته ودفع مكانته الى الامام، ولاسيما فيما من شأنه أن تتفاخر به العرب بعضها على بعض.

دارة جلجل بين الحقيقة والخيال:

توارثت الأجيال فحولة امرئ القيس، حتى باتت أشعاره الغزلية ومغامراته الإباحية شاهدا في مجلس يُتحدث فيه عن الحب أو في الحضور الجسدي للمرأة، وقد لا يُبالغ إذا قيل إن اغلب المهتمين بالشعر فضلا عن الشعراء يحفظون شعر امرئ القيس الخاص بالمرأة، ويتشدد به بعضهم وكأنه قائله، ولا ينكر أن للشاعر مكانته وفضله واسبقيته على سائر الشعراء، كما لا يبغض الرجل في شعره، والقول بمدحه مجروح؛ فقد ألفت كثير من الكتب فيه وفي شعره، ويكفيه من الفضل أيضا رأي الرسول الكريم محمد (ص)، ولكن على الرغم من ذلك كله يبقى الشعر محكوم بالنقد والرأي، واذا ثمة من يراه حسنا كله فكثير من الباحثين والنقاد رأوا فيه عيوب الشعر وعثرات اللغة، وسجلوا عليه المؤاخذات، وحددوا فيه السقطات، ويبدو هذا الامر طبيعيا؛ فهو لا يختلف عن سائر الشعراء.

تمثل حادثة جلجل نمطا اباحيا بارزا إذا ما أخذ بالاعتبار قول الرواة وشراح ديوان امرئ القيس فيها، وهو امر قد يكون للباحث فيه وجهة نظر مغايرة للمشهور؛ لأنه يفتقد تفاصيلها التي لم يجدها إلا من طريق الشروحات، وهو امر مقبول لو كانت تلك التفاصيل مقنعة الى حد ما، ولكنها لا تنهض بوصفها رواية متماسكة، ولا تصمد أمام النقد. بين يدي الباحث نص مشتمل على دارة جلجل، وهو القيد الذي كبل يديه منذ البداية، وأوقفه محتاطا تجاه كل زيادة اضافها الرواة؛ لذلك قد تسقط بعض التفاصيل التي عدت جزءا من الحادثة، لعدم توافر القناعات التي تدعم الرواية وتدحض الدليل الذي يخالفها.

قال امرؤ القيس (إبراهيم: 10-12):

أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَمًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ
وَيَوْمٍ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيئِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِيهَا الْمُتَحَمَّلِ
يَظَلُّ الْعَذَارَى يَزْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدِّمَاسِ الْمُقْتَلِ
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ!، إِنَّكَ مُرْجَلِي
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْعَيْبُطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزَلِ
فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ

يزعم امرؤ القيس أن يوم دارة جلجل من الأيام التي كانت للمذاتة وأنه عاشه بوصفه بطلا أقل ما يميزه فيه فحولته، وقدرته على امتلاك قلوب النساء وعقولهن بطريقة تشبه المغامرات، "وتقدير قول امرئ القيس: مَضَى لَنَا أَيَّامٌ طَيِّبَةٌ لَيْسَ فِيهَا يَوْمٌ مِثْلُ دَارَةِ جُلْجُلٍ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُ مِنْ غَيْرِهِ" (الزبيدي: 327/38) وأضاف الرافعي على ما ذكر "وأفضل من سائر الأيام" (الرافعي: 301/1) وقد لا يستبعد ذلك لولا انقطاع الرواية الا من طريقه.

سطر الباحث قناعته فيما يأتي الى جانب ما يمكن مناقشته في التفاصيل التي تعلق

بدارة جلجل من طريق عرضها أو طرح الأسئلة الاستنكارية:

1- من اين وردت رواية دارة جلجل؟ في الواقع لم يجد الباحث في كتب التاريخ وتاريخ الادب ومعاجم البلدان وثيقة واحدة ولا راو واحد سوى امرئ القيس، فهو الطريق الأوحده لهذه الرواية، وكل ما جاء في الكتب حول دارة جلجل كان بناءً على موردها في معلقته الشهيرة. يقول جواد علي: "ولبعض هذه الدارات شهرة، اذ وردت أسماؤها في الشعر الجاهلي

والإسلامي، مثل "دائرة جلجل"، التي ورد ذكرها في شعر امرئ القيس الكندي" (علي: 156/1).

2- كم استغرق امرؤ القيس حتى اضطر الفتيات الخروج من البركة عاريات؟ وكم استغرقن في محاولتهن اقناع امرئ القيس في الكف عن عبثه وارجاع ثيابهن؟
فإن كُنَّ قد أسرعن في الاستجابة لرغبته وخرجن عاريات فقد اثبتن له ولمن علم بخبرهن بأنهن فتيات عاهرات لا يباليين بحشمتهن ولا بسمعة اهاليهن، وهذا قطعاً ينافي ما عليه عادات العرب واخلاق الفتاة العربية بصرف النظر عن انتمائها ولا سيما أن الموضوع له علاقة بشرف الانسان وعرضه الذي لا يبالي إذا ما اراق دماء نصف قبيلته من أجله وأنفق كل ما يملك لستره.

والأمر الآخر هل كان لهن سعي في إقناع امرئ القيس في التخلي عن طلبه؟ وإذا كان الأمر كذلك فلمَ كان اليأس من إقناعه سريعاً؟!

وإذا كانت المحاولات من الطرفين وأعني بذلك محاولة امرئ القيس في اقناعهن بأن موضوع إرجاع الثياب لا يكون إلا بخروجهن عاريات، ومحاولتهن في إقناعه بالتخلي عن عبثه ورغبته قد استغرقت وقتاً طويلاً وحاول كل منهما الثبات على موقفه واصبراره بعدم التنازل للآخر مهما تأخر الوقت فإن ذلك يستلزم صبراً كثيراً من الطرفين والنتيجة زمناً ضائعاً يدفع ضريبته الفتيات والنتيجة مساءلة من قبل الاهل، وقد تعود على امرئ القيس بالضرر، إذا ما ادلت إحداهن بشهادتها واعترفت بسبب تأخيرها وذلك لا يستبعد تماماً.

3- إذا كانت فاطمة معشوقة امرئ القيس، وكانت تبادل المشاعر نفسها التي يكنها إليها فهل

ترضى أن ينظر الى غيرها بالطريقة التي صورتها رواية جلجل؟!
إن غير المرأة وان لم ترتبط بعد، تأتي أن تكون لها شريكة في قلب حبيبها أو عقله فضلاً عن أن يطالعها أو ينظر إليها عارية.
ولعل السبب وراء ذلك أن أية امرأة لا تقبل أن تكون جسداً للعبث واللهو كما يبدو ذلك من حديث امرئ القيس عن حادثة جلجل، وأن الرجل لم يكن من أهل الحب والعشق كما ادعى ذلك وهذا ما يعرض معشوقته للسخرية والتنمر ويدفعها للتخلي عنه وهذا ما لا يرضيه.

4- اين كان عبيد تلك الفتيات ساعة انقض عليهن امرؤ القيس؟

فقد ترد عدة احتمالات في هذا المقام:

- أولها: أنهم كانوا حاضرين لحظة دخول امرئ القيس على الفتيات، وإذا كانوا كذلك لِمَ لم يحاولوا منعه والتصدي لمحاولته العابثة ولاسيما أنهم أكثر بحسب ما توحى بذلك الرواية؟
- ثانها: لم يكونوا عند الدار لحظة انقضاضه على الثياب، ولكن من اين خرجوا بعد أن اقتنعن الفتيات بالتسليم له والخروج مثلما أراد؟
- 5- حين يُدقق بقول امرئ القيس (منهن) تهتز الثقة بصحة الرواية؛ فقد يعني أنه رجل تفرد بكثير من الصفات حتى بات معشوقا لقطيع من الفتيات، والتعلق به طموح يسكن نفس كل واحدة منهن، دون اعتبار لأية مشاعر تذكر سوى أن الموضوع يرتبط بشخصه غريزيا ولا شيء سوى ذلك!!
- 6- إذا كان امرؤ القيس بذلك المستوى من المقبولية عند النساء، وفيه ما يؤهله لكسب الرضا والرغبة من قبلهن، فلم كان شاهده على حادثة منفردة (دائرة جلجل) بتلك المغامرة التي جنى منها المتعة والسعادة بحسب ادعائه؟ فلو كانت الحادثة واقعية لتكررت في أقل الاحتمالات مع بعضهن، ولو في سيناريو مختلف.
- 7- لا يخفى على دارس أن كل الروايات المتعلقة بمغامرات الفحولة، وأدلة الذكورة المفرطة، التي ساقها امرؤ القيس لا يوجد فيها سواه راويا لها وشاهدا عليها في الوقت ذاته.
- 8- إذا كان امرؤ القيس في معرض الحديث عن بطولاته الفحولية -إن صح الوصف- فيجدر به أن يستدعي الأسلوب الذي من شأنه أن يعزز تلك الصفات ويوثق المواقف بدقة ووفرة بالغتين، ولكن المقام لا يوجد بذلك بقدر ما يندر تلك اللحظات ويقلل من موردها، الامر الذي يدعو الدارس الى التشكيك في صحتها بعد أن لحظ نبرة التردد في سياقها.
- 9- لا تكاد فكرة التردد تنفك عن حادثة جلجل، فحديث امرئ القيس كله بنبرة الأنا ولا يغيب ضمير المتكلم عن ذلك السياق أبدا إلا في حادثة جلجل، الأمر الذي يجعل طبيعة الحديث أكثر ترددا من وجهة نظر الباحث.
- 10- لقد ربط الرواة حادثة جلجل بحادثة عقر الناقة، وإطعام العذارى، وعدوا ذلك عملا متداخلا لا ينفصل بعضه عن بعض، وحديث امرئ القيس قد لا يوحي بذلك، فتحول الخطاب من ضمير المتكلم الى ضمير المخاطب يشير الى حادثتين منفصلتين، ولعل هذا ينتهي الى رغبة امرئ القيس في بيان مؤهلاته التي يحاول استعراضهن، ولاسيما الحادثتان أعلاه، إذ لكل واحدة منهما قوة تأثيرية يسعى لتضمينها خطابه بشكل منفصل، وهذا يضعف تماسك رواية الحادثة كما وردت ويزعزع استقرارها بوصفها نقلا مسلما به.

11- إن صحت الحادثة المتعلقة بنحر امرئ القيس دابته للفتيات، فلماذا كانت ناقه ولم تكن فرسا؟ والمسافة بين دارة جلجل ومسكنهم ليست ببعيدة! والناقه قد تكون واسطة نقل للمسافات البعيدة!! (مرتاض. 1998: 10)، ولم يؤلف عن العرب أنها كانت تذبح خيلها ما خلا حاتم الطائي، الذي لم يفعلها إلا بعد أن أنفق كل ما يملك كرما للأخرين. لا تبدو ثمة علاقة بين حادثة جلجل وعقر الناقه، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنّ الحادثة رمزية -بحسب رأي الباحث- فقد حرص امرؤ القيس كثيرا على ألاّ يتعد عن مرماه. فقد يشير عقر الناقه الى الرجل الذي يضحي بكل ما من شأنه أن يرتبط بحياة الدعة والترّف؛ للتوجه نحو حياة أكثر جدية بكل ما تحمل من معاناة ومسؤولية تجاه المملكة المغدورة.

تحتم الحياة الجديدة على امرئ القيس أن ينهض بعدة القتال للأخذ بالثأر، وحمل الوصية التي دُفعت إليه، وذلك يستلزم استعدادا تاما؛ فقد ترمز حادثة جلجل الى التخلي عن حياة اللهو والصبا والعبث ليختمها بالعودة الى أهله بعد أن كانت التضحية ناقه ولم تكن فرسا.

وأما ما يتعلق بحادثة جلجل نفسها، ومنظر الفتيات العاريات، وركوبه مع عنيزة فكان ذلك السبب الطبيعي الذي يجمع فيه امرؤ القيس بين الثقافة الشعرية التي شاعت، وما يرتبط بها من تفاصيل قد لا يغادرها كهول الشعراء فضلا عن شباهم، وطبيعة العلاقة المنطقية بين السبب والنتيجة للتضحية، هذا إن سلمنا جدلا بأن ثمة علاقة بين دارة جلجل وعقر الناقه.

12- ثمة ما يرتبط بالفقرة السابقة، ويثير الشكوك عند الباحث، يقول الدكتور عبد الملك مرتاض عن موضوع نحر الناقه: " يدلّ نحر الناقه على أنّ امرأ القيس لم يكن يتنزه، ولا يغازل، ولا يتمتع من لهو؛ ولكنه كان أزمع على سفر طويل، وتظعان بعيد. وإلاّ فمألّه لم يتخذ ركوبته فرساً، واتخذها ناقه؛ وهي للفارس ليست الرّكوبه المثاليّة، ولا الركوبه الشديده السرعة التي يحرص عليها الظاعن في تظعاناته القصيرة.. كان يجدر بالشاعر الأمير أن يتنقل على فرسه لا على مطيته، لأنّ سفره كان للزهة، ولأنّ الحكاية الأسطوريّة، تزعم أنه كان معه عبيد... ألم يكن من الأولى أن يمتطي هو حصانه، ويترك بعض الجنائب يقودها العبيد لبعض خدماته في الطريق؟..." (مرتاض. 1998: 128)

لم تكن فكرة ربط الناقه بالكرم استنتاجا أو تحليلا لبعض الرمزيات وانما بناءً على الموروث العربي القائم على المرويات، والنصوص الشعرية، التي تمجد صفة الكرم، وقد وردت بعض الإشارات الى ذبح الفرس من أجل الاطعام استمرارا للمنهج الذي رسمه الأجداد

والاباء، ولكن حين شخّ دون الفرس ما يطعمون به ضيوفهم، فلم تكن البادرة مقصودة لنفسها لولا ضيق الحال، وانقطاع السبل، وهذا ما لا يقاس عليه، ولا يشكل في الموضوع الا حالة نادرة، واستثناءً مبرراً.

13- يغلب على شراح ديوان امرئ القيس والنفاد والمهتمين بتحليل معلقته الذهاب تجاه جمع جملة من الاحداث والتفاصيل تحت مسمى حادثة واحدة، وهي حادثة جلجل، وفضلاً عما ذكره الباحث في الفقرة السابقة ثمة ما يُجمع تحت ذلك العنوان أيضاً وهو ركوب امرئ القيس مع عنيزة على بعير واحد حتى أذهب استقرار هودجها وخافت أن يقعا بعد أن مال بهما، ولكنه تحدث عن عدة مواقف تحت عنوان (يوم) وتلك الأيام متعددة، ولكل واحد منها مقام مختلف، إذ تختلف في مواردها التي لا دليل على جمعها في حادثة واحدة، وتختلف في أحداثها أيضاً، إذ لكل منها موضوعه وتفصيله التي يستقل بها عن غيره من الأيام التي ذكرت، وهذا بحسب قناعة الباحث لا يصب في تماسك الرواية، بل يوزع الاحداث في أزمان مختلفة، وقد تكون متباعدة أيضاً.

14- لِم لم يكن مع امرئ القيس أحد من ندمائه أو من أصحابه؟! والمعروف عنه أنه كثير الاجتماع بصحبته!!

يستلزم الموقف من امرئ القيس أن يكون وحده وإلا قد يراود المتلقي شك بأن الحادثة تنطوي على مكيدة من عدة أشخاص، أحكموا حبكتها، وبذلك قد يصادر بعضهم ولو جزءاً منها فلا يحظى امرؤ القيس بإعجاب المروي له ولا بدهشته بشكل تام، وقد تتعدد روايتها فيما بعد، فتسرق بطولتها، وتصادر من صانعها، وهذا ما لا يرجوه امرؤ القيس، ولا يظهره بالمظهر اللائق أمام جمهوره؛ لذلك كان مدركاً أن صناعة الحادثة لا بد أن تكون بوعي تام.

15- إذا كانت الصناعات الشعرية وما تشتمل من أحداث، وحكايات، تحمل كلها على الصحة، ويقطع بصدقها، فما موقف المتلقي بإزاء الاحداث المتعارضة؟؛ لذلك فإن لا واقعية حادثة جلجل احتمال وارد، ما لم يقدم بها دليل.

16- إذا كانت حادثة جلجل معروفة التفاصيل في زمنها ورواها كثير حتى وصلت الى الفرزدق (البغدادي. 1998: 423-417/3) فكيف يجرأ امرؤ القيس على ذكرها إذا كانت قصة حقيقية؟!

يعتقد الباحث أن حادثة جلجل نسيجا خيالياً ضمنه امرؤ القيس معلقته أسوة بمناوراته التي اشتمل عليها شعره، وقد عرف المجتمع الجاهلي تفاصيلها دون أدنى شك ولكنهم لم يحركوا ساكناً؛ لأنهم على قناعة أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون، وأن طبيعة

القصيدة الجاهلية تقتضي التعدد الموضوعي، الذي لا يقف عند حد معين، وقد وقفوا على تفاصيل كثيرة، لا وجود لها في الواقع، الأمر الذي يجعل من حادثة جلجل واشباهها أمراً مستساغاً، ولا قيمة واقعية له ولا سيما إذا أخذ بالاعتبار الصناعة الرمزية للشخصيات الشعرية.

17- ما الذي منع امرأ القيس من التفصيل في حادثة جلجل؟!

ربما هذا الاستفهام يثير في القارئ فضولاً للوقوف على سبب حقيقي مقنع يبرر دفع امرئ القيس حادثة جلجل الى الرواة فتملاً فراغاتها بالتفاصيل الواردة عنهم، ولا سيما أنه لم يكن يكثر لدين أو عرف أو أخلاق (مرتاض. 1998: 104)، وقد لا يعدو الموضوع أن تكون دارة جلجل أسطورة معروفة عند العرب استدعاها امرؤ القيس ليمتطي صهوتها بوصفه بطلاً يحاكي في تجاربه ومغامراته الجنسية الأساطير الذين جرت حكاياتهم على ألسنة الناس وعرفوها مثالا للفحولة في أدنى مراتبها.

18- لا يوجد رسم هندسي في أي كتاب تاريخي أو جغرافي أو حتى سيرّي يستعان به على وصف غدير دارة جلجل، وهذه مشكلة نوه عليها الدكتور عبد الملك مرتاض (مرتاض. 1998: 104-105). وينتج عن ذلك غياب صورة الغدير وحجمه ومورده وطبيعة الماء فيه، والباحث لا يملك سوى إشارة من امرئ القيس لجلجل دون أدنى تفصيل من أي مصدر أو وثيقة رسمية، ومع هذه الصورة الهلامية أو المجهولة هل يستطيع أحد أن يحكم بصحة الحادثة أو في الأقل دقتها مع سكوت تام عن طبيعة دارة جلجل حتى من ذوي الاختصاص والمهتمين؟!

19- إذا كانت الحادثة حقيقية فإين تقاليد العرب واعرافهم من ذلك التعهر، وتلك المجاهرة بأعراضهم؟!

يرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن امرأ القيس لا يملك مسوغاً واحداً للقيام بفعلته مثل حادثة غدير جلجل (مرتاض. 1998: 101)، ولو حدثت فعلاً لتناولته سيوف أهل العذارى وذويهن دون أدنى رحمة، ولكن الحادثة لا تخلو من أمرين؛ الأول: لقد ذكر الباحث في فقرة سابقة أنه لا يستبعد أن ثمة أسطورة مرتبطة بدارة جلجل، والعرب يومئذ تعرف تفاصيلها تماماً، وقد استدعاها امرؤ القيس بوصفها توظيفاً فنياً ليس إلا.

وأما الأمر الثاني فإنّ التفاصيل الواردة في الحديث عن دارة جلجل ليس لها علاقة بالحادثة، وقد زاد الرواة الشرح عليها وحملوها ما ليس فيها، وما لم يذكره امرؤ القيس، ولا سيما أنه في موارد أخرى (إبراهيم: 11-18، 28-35،...) يتعرض لمغامراته وخاصة

اللهوية الماجنة- بالتفصيل الدقيق، وقد يركز على الأساسي وغيره؛ والسبب من وراء ذلك قيمة الرواية في عصر التدوين، التي دفعت الرواة للاهتمام بها، ووضعها، والزيادة عليها.

20- هناك اختلاف كبير في عدة جوانب من رواية دارة جلجل؛ الأول: مكان الدارة، إذ اختلف الرواة حول مكان الدارة. فعن الاصفهاني: "قال أبو عبيدة: دارة جلجل في الحى وقال ابن الكلبي: هي عند عين كندة" (الاصفهاني: 90/9)، وفي معجم البلدان " قال الأصمعي وأبو عبيدة هي من الحى، وقال غيرهما هي من ديار الضباب بنجد فيما يواجه ديار فزارة" (الحموي: 150/2)، و" قال ابن السكيت في تفسير قول امرئ القيس
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَيِّمًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ

قال دارة جلجل بالحى ويقال بغمر ذي كندة وقال عمرو بن الخثارم البجلي وكنا كنا يوم دارة جلجل مدل على أشباله يتهمهم وقال ابن دريد في كتاب البنين والبنات دارة جلجل بين شعبي وبين حسلات وبين وادي المياه وبين البردان وهي دار الضباب مما يواجه نخيل بني فزارة وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي دارة جلجل من منازل حجر الكندي بنجد" (الحموي: 426/2).

والاختلاف الثاني يقع في موضوع وجهة الفتيات؛ لذلك قال الدكتور مرتاض: "إنّ مطلع الحكاية يوحي بأنّ أولئك النساء كنّ مسافرات إلى حيّ آخر من ذلك الوجه من الأرض، على حين أنّ آخرها يوحي بأنهنّ أُبُنَّ إلى حِمَّيْن، وأنّ سفرهنّ لم يتمّ، وأنّ الرحلة لم تحدث، وأنهنّ لم يعدن إلى حِمَّيْن حتى جَهَّيْن، والشاعِر، الليل" (مرتاض. 1998: 102).

تتجلى الغرابة هنا في كون الرواية منقولة من جهة واحدة، وإذا كانت كذلك فلم هذا الاريك في أحداثها وتفصيلها ولاسيما الرئيسة منها؟!

والثالث بطله القصة، التي أشار إليها الدكتور عبد الملك مرتاض أيضا (مرتاض. 1998: 102)، فقد اختلف المؤرخون في من هي صاحبة دارة جلجل، فكان رأي القرشي أن فاطمة ابنة عم امرئ القيس هي من كانت في دارة جلجل (القرشي: 109-110)، بينما ذهب ابن قتيبة الى "أنّ امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمّ له يقال لها عنيزة، وأنّه طلبها زمانا فلم يصل إليها، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل" (ابن قتيبة: 123/1).

21- ويُلفت النظر الى واحدة من اشكالات الناقد عبد الملك مرتاض، التي تشير الى ظاهرة تمثيل الاحداث التاريخية بتتبع دقيق، وقصدية راسخة في إظهار الإرث الحضاري، والنتاجات الثقافية؛ لذلك يضع يده على وجهة نظر قد تكون عامة في الابتعاد عن كل عمل تدور حوله الشبهات، وتثار عليه الاستفهامات. فيقول: "وإذا سلّمنا بصحّة هذه

الحكاية، وما علينا أن نكون سدجاً؛ فإن هذا الحيز يغتدى عجيباً مثيراً: غدير ماءٍ مكتظاً بأجسام الفتيات العاريات، وفتى قريباً منهن في اليابسة، جاثماً على ملابسهن وهو ينظر إلى عوراتهن المغلظة في شبقٍ شديد، ثم يستحيل المشهد العاري العام إلى مشهد عُري جُزئيةٍ تمثل في ثنائيتها الحركة التي تُحدثها الفتاة وهي تخرج من الغدير عارية وحركة الرجل وهو يسلمها ثيابها، أو أنها هي نفسها تنحني على ثيابها لتأخذها لتستر بها جسدها والفتى ينظر ويتلوى: لا هو يخاف، ولا هو يستحي، ولا هو يرعوي!! إنه مشهد على ما فيه من فعل الاغتصاص والاعتصاب- من الوجهة الأخلاقية والوجهة القانونية أيضاً؛ فإنه من الوجهة الخيالية لو وقع في أدب الغرب لكانوا ملأوا به الدنيا وأقعدوها، ولكنا صوره ألف تصوير، ولكنا أخرجوه في تمثيلهم ألف إخراج" (مرتاض. 1998: 104).

تثير طبيعة الاشكال قلماً كبيراً تجاه قبول الرواية في الوقت الذي يوحى التعاطي معها من قبل المتلقين نفوراً كبيراً حتى على مستوى التمثيل الذي لا يجد حرجاً في مقارنة الأعمال الخيالية، الأمر الذي يدعو الى التأمل في سبب ذلك، ومدى مقبوليتها في الأوساط الفنية والأدبية.

22- روى الفرزدق جلجل بتفاصيلها، وهو الشاعر الإسلامي المعروف، والغريب في الموضوع أن سناريو الحادثة يتكرر معه في بيئة لا تكاد تختلف كثيراً عن بيئة استاذة امرئ القيس!!

لا تخلو هذه الصدفة من تساؤلات؛ منها: لم كان الفرزدق الراوي الوحيد الذي حفظ الرواية عن جده؟! ألم يُحدث بها أحداً من المقربين؟! ألم يكن في البصرة من المهتمين في الشأن الروائي ولاسيما للمعلقات فيحفظ منها ولو جزءاً يسيراً؟! وقد أورد الدكتور عبد الملك مرتاض اشكالا آخر: "فإن حكاية دارة جلجل لم تك مشهورة بين عامة الناس في البصرة التي كانت عاصمة إشعاع ثقافي وأدبي ونحوي لدى نهاية القرن الأول للهجرة، وإلا لافترضنا أنه يكون في أولئك النساء المستحتمات في الغدير من تعرف شيئاً عن حكاية غدير دارة جلجل؛ إذا نفترض أنه كان في أولئك النساء-نساء البصرة- من تروي شيئاً من شعر امرئ القيس الغزلي... ومن العجيب، في كل الأطوار الممكنة والمستحيلة معاً، أن لا تُروى هذه الحكاية الجميلة المتعلقة بغدير دارة جلجل عن خلف الأحمر، وخصوصاً عن حماد الرواية الذي كان هو الذي روى نصوص المعلقات كما بلغتنا" (مرتاض. 1998: 126): لذلك تثار حولها التساؤلات، وقد يتهم بها الفرزدق أنها من صنعه إن صحت روايته لها، وإلا لم أغفل عنها الرواة الأوائل الذين ينبغي لهم أن يكونوا أول المهتمين بها وبنقلها،

وتعلق في عنق من يُقدّر أنّ اهتمامه بها هامشياً، ولولا تلك الفتيات المستحتمات لما وصلت إلينا.

الخاتمة:

ليس غريباً أن تتباين الدراسات الإنسانية بين القبول والرد؛ فهي صناعة بشرية، أقل ما توصف أنها تبقى ناقصة، ولا سيما إذا كان أساسها النقل، الذي تعرض -في الأقل- لأفتين: الأولى: أنّه متقدم بزمان كبير عن التدوين، وهو الأمر الذي يثير القلق، ويزعزع الاطمئنان؛ وأما الآفة الثانية: فهي الطريق الواحد للرواية، ولاسيما إذا كان شاهدها بطلها ولا أحد سواه. لقد نتج عن هذه الدراسة ما يأتي:

- 1- ثمة إشارات في الشعر لا تشكل شيئاً ذا قيمة عند صاحبها إلا أنّ الرواة والشرح أضافوا عليها ووسعوها حتى باتت قضايا ذات اعتبار، ولها قيم وضعية وتفصيل لا أساس لها.
- 2- للثبوت من صحة رواية ما، أو حادثة معينة يجب أن ينظر الى مصادر تلك الرواية ومدى وثاقتهما، والى مقبوليتها بحسب ضوابط العقل من حيث الزمان والمكان والظروف الأخرى التي تحيط بالموضوع.
- 3- إنّ كثيراً من التفاصيل التي يذكرها الشعراء، أو المحطات التي يقفون عندها، ربما هي تقليد في لا تحمل أي بعد واقعي.
- 4- إنّ أكثر الروايات والأحداث التي تشير الى الفحولة لا يوجد فيها غير راو واحد فقط، وهو الشاعر نفسه.
- 5- لقد اسند الشاعر قوله الى ضمير الغائب في حادثة جلجل، وهو أمر يثير الشك عند المتلقي؛ إذ يمثل ذلك انحرافاً عن طبيعة الخطاب الذي غمرته أنا امرئ القيس؛ فسوى هذه الحادثة يضح المقام بصوت الأنا عالياً.
- 6- لا توجد في المعلقة قرينة على أنّ التفاصيل التي ذكرها الرواة تشكل حدثاً واحداً.
- 7- ثمة فاصل زمني بين الاحداث التي عُدت حادثة واحدة.
- 8- هناك اختلاف كبير في تفاصيل الرواية بين شارح وآخر يفضي الى عدم الاطمئنان إليها، ويدعو الى إعادة النظر فيها.
- 9- غابت بعض التفاصيل المهمة عن مسرح الحادثة، ومن أهمها الزمن وكم استغرقت أحداثها، وهذا طبيعي؛ لأنه يقتضي ضبطاً قد يثير بعض التساؤلات المحرجة.

- 10- إنَّ التلاعب في الحضور والغياب واضح جدا؛ إذ في الوقت الذي يثبت الرواة أنَّ بعض العبيد والخدم كانوا جزءا من الحادثة ولكنهم مغيبون تماما من مشهدها الرئيس ولا يظهرون إلا بعد أن استوت اللعبة وجرت الأمور بما يشتهي امرؤ القيس.
- 11- إنَّ سكوت الناس -أهل العادات والتقاليد- لسبيين؛ الأول: أنهم مؤمنون أن حادثة جلجل لا تعدو أن تكون صناعة تخيلية، والأمر مباح في حدود الفن الذي لا يرجى منه الا المتعة، وأما السبب الثاني فإنها أسطورة استدعها امرؤ القيس بوصفها توظيفا فنيا، والاسطورة معروفة لديهم؛ لذلك سكت الشاعر عن مضمونها واكتفى بالإشارة والايحاء.
- 12- إذا سلّمنا بصحة حادثة جلجل فإننا أمام مآزق كبير! وهو من أين جاءت كل تلك الشروح والاضافات؟ والنتيجة أن امرأ القيس أورد (دائرة جلجل) دون أدنى تفصيل، وعمد الرواة والشراح الى إلحاق كل تلك الزيادات.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس؛ دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- ابن قتيبة. الشعر والشعر: تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
- الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني؛ تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. 1998. خزانة الأدب ولب لسان العرب؛ تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.
- الرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؛ المكتبة العلمية، بيروت.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرضى. تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- علي، الدكتور جواد. 1422هـ- 2001م. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ دار الساقى، الطبعة الرابعة.
- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب. جمهرة أشعار العرب؛ تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر.
- مرتاض، الدكتور عبد الملك. 1998. السبع المعلقات مقارنة سيمائية/ أنثروبولوجية؛ منشورات اتحاد الكتاب العرب.

The Unreliable Narrator in Pre-Islamic Poetry A model Jingle Circuit

M.D. Naseer Khalaf Abbas al-Qurashi

Faculty of Education for Pure Sciences University Wasit

naseer.abbas@uowasit.edu.iq

Key words: Imru' al-Qays, the narrator, the novel, the jaljal circuit.

Summary:

He makes him do the drawing, and he puts it on himself, he does his work, and he puts it on himself, and he inserts it into the framework of the work and his rise, an imaginary character that the writer takes on the guise of saying what he wants under a pseudonym, or an unknown name; This shape represents the text area and the shape that represents it.

Based on the epistemological basis that organizes the conceptual field in literature theory, the narrator element is included in the narrative literature system with a group of elements that contribute to the structure of the narration, but this does not prevent us from tracking it in the poetic gender, as an influential element in building or directing the poem, especially If we find his features that do not look different from the incubator in which he grew up.

In this regard, the researcher would like to stand on the truth of the novel written by the pre-Islamic poet Imru' al-Qays in a group of verses in his commentary under the title (Darat Jaljal) and how accurate or true it is, using the same commentary and the accompanying narratives in the same framework according to what he sees; Therefore, the ink was the first and most abundant in proving his convictions, and establishing the idea that the narrator could make mistakes or be inaccurate in his transmission, or describe things and situations.